الفصل السادس:
مواقف في حياته

الفصل السادس: مواقف في حياته

تاجر وشاعر بخبرة محمد السبيعي عركته السنون وصنعته الصعاب، لا بد أن تمر به مئات المواقف والتجارب التي خرج منها متوشحاً بنجاح أو متدثراً بحكمة، وحقٌ علينا نحن أبناءه ومحبيه أن نستلهم منها العبر والفوائد، وكلما روى السبيعي شيئاً منها

صورة تضم الشيخ محمد السبيعي مع نخبة من أصدقائه المقربين وهم من اليمين: معالي الدكتور سليمان السليم والشيخ سليمان العليان - رحمه الله - والدكتور عبدالرحمن الزامل والشيخ عبدالرحمن المنصور الزامل - رحمه الله - ومعالي المهندس عبدالعزيز الزامل.

يتواصل الشيخ محمد السبيعي بشكل دائم مع أقاربه وأصدقائه ومعارفه القدامى. . ويظهر في هذه الصورة مع أخيه عبدالله وابن عمه عبدالرحمن الناصر السبيعي.

ازددنا قناعة بأهمية نشرها وبضرورة توثيقها في كتاب مستقل، ولكننا اخترنا بعضاً منها في هذا الكتاب ليتعرَّف القارئ من خلالها على مدى نبل السبيعي وإنسانيته.

هؤلاء هم أصدقائي:

ظفر محمد السبيعي عبر مشوار حياته الزاخر بنخبة من الأصدقاء والمعارف الذين ما زال يكن لهم الود والتقدير ويذكرهم أمام الناس بالخير والفضل.

ومن المواقف التي لا ينساها لأصدقائه ما يحكيه بقوله: كانت لي مشكلة مع شخص بسبب مبالغ طائلة، وكانت هذه المشكلة تسبب لي قلقاً دائماً؛ لأن وراءها أخطاء وخدعاً ، فعلم ذلك اثنان من أصدقائي، قال الأول - رحمه الله -: أهب لك أرضاً تعادل قيمتها ضعف ما تطالب به وتنسى هذا الموضوع، والآخر قابلني وطلب مني أن يتولى هو هذا الموضوع، وأن يعوّضني عن هذا المبلغ نقداً شرط أن أنساه. جزاهما الله عني خير الجزاء.

وقد قال - رعاه الله - مرة في وصف الأصدقاء الأخيار:

هكـــذا الأخـيار دايم بانتظام
يتسابقون الطيب وممنوع الزعل
ما ينكر المعروف رجل له مقام
ويرجو ثواب الله وتحقيق الأمل

obeikandl.com

لا ينسى أحداً ذا فضل:

ومن أعظم صفاته اعترافه دوماً بجهد معاونيه وتقديره لهم، ويتذكَّر دائماً وقفاتهم معه، إذ يقول عن أحدهم: لقد تركنا في محلنا بمكة موظفاً نشطاً وأميناً ، وهو الابن عبداللطيف الباهلي الذي أخلص معنا جداً حتى أصبح شريكاً معنا في محلنا بمكة المكرمة وبقي لإدارة أعمالنا في مكة إلى أن توفي -رحمه الله- وجمعنا به في جنات النعيم.

التجارة ربح وخسارة:

وبكل جرأة وشجاعة لا يتوانى السبيعي في أن ينقل إلى أبنائه وأحفاده وقراء سيرته تجاربه التجارية سواء التي وفَّق فيها أم لم يوفَّق؛ لأنه مؤمن بأن التجارة ربح وخسارة، فها هو يقول: كنت شريكاً مع الرشودي من بريدة وشخص عراقي اسمه عبدالمعين، حيث أنشأنا شركة لاستيراد اللحوم من مقديشو ومن عدن، ولكننا لم نوفَّق فيها وخسرت الشركة، وتحمَّل كل منا ثلث الخسارة دون أن أصاب بكلل أو ملل.

الأمانة وتقوى الله:

يؤمن السبيعي بضرورة متابعة رجل الأعمال الناجح لأعماله أولاً بأول.. ويظهر في الصورة بمكتبه داخل شركة الصرافة.

وإذا جاز لنا أن نحدِّد الصفة الأولى التي ينشدها في كل من يتعامل السبيعي معه فهي الأمانة، لأنها كانت بضاعته على الدوام، ومبدؤه الذي لا يساوم عليه؛ ولذا فإننا لا نعجب

امتاز السبيعي بمهارته العالية في التفاوض وعقد الصفقات.. ويظهر في الصورة متحدثاً مع مديري سيتي بنك بالسعودية.

عندما يروي لنا الموقف التالي، إذ يقول: فتحنا شركة مع المرحوم عمر باحمران، وكانت لديه وكالة يشتري بموجبها الأراضي باسمه، وذهب إلى الأحساء وتوفي في حادث سيارة -رحمه الله وغفر له -ولكن أبناءه- جزاهم الله خيراً- أفرغوا جميع استحقاقاتنا -من أراض- باسمنا دون أية مطالبة منا بذلك، حتى الأراضي التي اشتراها في الخرج دون علمنا، وهذا دليل على حرصهم على كسب المال الحلال والعف عن الحرام. قال السبيعي شعراً:

ازرع ونق الزرع من شان تحصد
مثل الذي حصن خياماً بالأوتاد
ولا تتكل تندم ولياك ترقد
تكون ضحكة دوم للحضر والباد
اقنع بما تضبط ولا أقول ازهد
ترتاح إن رمته ويتعبك إن زاد

الثقة لا تعطى إلا لأهلها:

كان كثيراً ما يحذّر شركاءه وأقرانه ورفقاء دربه من التوسع في منح الصلاحيات المطلقة لأي إنسان مهما علت مكانته؛ لأن الثقة المطلقة

السبيعي في رحلة عمل، ويظهر عن يساره إبراهيم العبدالرحمن الجمعي وابن أخيه إبراهيم العبدالله السبيعي.

مفسدة مطلقة -حسب وصف العقلاء والحكماء- ولعل في هذه القصة التي رواها في أحد مجالسه العامرة عبرة وعظة لرجال الأعمال، إذ يقول: عندما انهارت أسعار الأراضي كفل أحد أصدقائي أناساً بمليون ونصف المليون ريال لكنهم أفلسوا، ثم وثق في موظف عربي يعمل عنده وأعطاه صلاحية توقيع البنوك -وهذه من الأخطاء التي يقع فيها كثير من الناس- حيث لا تعطى الثقة إلا لأهلها، فقام هذا الموظف بسحب جميع ماله من البنك واشترى عمارتين في بلده باسم زوجته، ولما راجع صديقي حساباته في البنك وجدها مفلسة، فجاء إليّ وقال: يا أبا إبراهيم: ما العمل «ويش السوات» فعملنا معه شركة وكان إنساناً تقياً نقياً، وبفضل الله ثم بفضل إخلاص هذا الصديق وكفاحه نجحت هذه الشركة، وكنت أنا وهو أكثر من صديقين حتى بعد وفاته استمرت صداقتنا مع أبنائه، وهم الآن في منزلة أبنائي ومثال

للأمانة والصـــدق وتقوى الله. يقول السبيعي في إحدى قصائده:

إلهي أجـرني وانتـصر لـــي ونجني
من الشـر والأشـرار يـــاربِ انتـقم
من الماكر المحتال والظـالم البغي
ولو كـان ابني أو صديقي وذو رحم
فإنـك عدل تعـلم السـر والخفي
فيا ويل من يظلم ويا حظ من ظُلم

مع سليمان الراجحي:

يقول: في عام ١٣٧٧هـ أرسل لي تجار الرياض مندوبين عنهم، فـأرســـل الحقباني أخاه ســـلمان مندوباً عنه، وسليمان المقيرن أرسل ولده عبدالعزيز، وصـــالح الراجحي أرســل أخاه سليمان الراجحي، فذهب معـنا لأداء فريضة الحج، وهذا الرجل منـــذ نشأته وهو آية من آيات الله زاده الله من فضله، وكان إذا أصبح في منى وعرفة ذهـــب ولا يعود إلا في المساء، وإذا قلت له: أين كنت؟! أجاب: أنا أبحث عن خالي يقولون إنه حاج، ولما ذهبنـا إلى مزدلفـــة ذهب ولم يعد إلا عند حلول الفجـــر، ثم عرفنـا بعـد ذلك أنه يذهب لشراء العملات من الحـــجاج لأنها أرخص قيمة، فهو يحج ويعـمل، وكان عمله لأخيه صالح، وكـــان يتقاضى مرتباً لا يتجاوز ثلاثين ريالاً، ولكن البركة تحصل بإذن الله بإخلاص النية وصفائها، والآن -بفضل الله ومشيـــئته- هو من أغنى رجالات البلد، وهذا فيه درس لـلشـباب، حـيث يجب على الإنســان أن يسعى ويجاهد لطلب الرزق، وصدق الشاعر، إذ يقول:

شـباب قنُـع لا خيـر فيـهم
وبورك في الشـباب الطامحـينا

رحلته إلى الهند وباكستان مع الملك سعود -رحمه الله-:

ومن المواقف التاريخية، يتذكَّر السبيعي فيقول: سافرت إلى الباكستان في رحلة مع الملك سعود -رحمه الله- ثم إلى الهند، وقد أوصانا بعض الإخوان على دهن عود فاشتريت ٥٠٠ تولة، وكانت التولة بـ ٤٠ روبية هندية، فدعاني أحد الإخوة وهو محمد العلي البسام - وكان من الذين رحلوا إلى الهند من عنيزة لطلب الرزق واستقر هناك وعمل بالتجارة ووفقه الله - وقال لي:

سمعت أنك اشتريت دهن عود التولة بـ ٤٠ روبية وهذا السعر مُرتفع جداً، وكانت أربعين روبية في ذلك الوقت تعادل ٣٥ ريالاً سعودياً، وقال لي: كنت أشتري أربع تولات دهن عود أصلي بروبية واحدة فسبحان الله العظيم، الآن في وقتنا هذا تولة دهن العود الأصلي بثمانية آلاف ريال سعودي، وهذا دليل على عظمة الله سبحانه جلَّ جلاله ونعمه على هذه المملكة وقوة اقتصادها.

ومن شعره الذي يعبر فيه عن مكنونات حبه تجاه وطنه يقول:

آمنت بالله مجري المـا والأفلاك
وأرجـوه لطـفه دوم ليـل ونهارا
ووطنـك لا تجـفاه إيـان وإيـاك
لا يخـدعك منـظر ديـار النصارا
الدين والشيمة مع الأمن وأمنـاك
بالمـملكـة جعـله عـمارٍ قـرارا
في حكم حامين الشريعة والأملاك
بالسـيف والحـكمة نشـاما غيارا

وآل السعود وغيرهم جعله أفداك

انظر يمين وخلف وانظر يسارا

العدل فيهم والمكارم والإدراك

حكام من حكام بعلم وجدارا

ما ينكر الواقع سوى كل أفّاك

أو مغرض مأجور أو طافي نارا

العمل الجاد يحالفه النجاح:

ويروي السبيعي أحد المواقف التي مرت به، أثناء انهماكه في العمل، فيقول: كنا في ليالي رمضان نعمل في محلنا في شارع قابل في جدة ومعنا الأخ العزيز عبدالعزيز بن مقيرن - رحمه الله -، ومع كثرة الأعباء انشغلنا بالعمل ونسينا وقت السحور، فلما سمعنا المدفع أسرعنا إلى محل قريب منا يبيع الهريسة، ولكن الأخ عبدالعزيز لم يعجبه البائع فاستغنى عن الهريسة وأخذ شاياً مع رغيف خبز، فكان العمل والمثابرة أحياناً يشغلنا حتى عن الأشياء الضرورية!!

قال السبيعي مرة موجهاً نصائحه لأحد أبنائه:

تفرّغ لأعمالك ودينك وابناك

ترى النار تقبس من صغير الشرارا

وما يرفعك يا كود تحصين يمناك

وبعلمك وجهدك ثروة وازدهارا

فالسبع يتعب للفرص هنا وهناك

والنمل يسعى الفجر في كل دارا

obeikandl.com

رؤيته للعقار:

وعن مجال العقار يقول: الحمد لله الذي بشكره تدوم النعم، ومن يتفكر في زمن مضى وما نحن فيه الآن لا يفي بشكر صاحب الفضل جلّ وعلا مهما عمل.. وإن تقدم المملكة وما وصلت إليه من دور ريادي وتطور مذهل بفضل الله ثم بفضل هذه الحكومة الرشيدة لهو فوق التصور؛ ففي العقار كان هناك بعض المبايعات الخيالية، ومن الذكريات أن أحد الإخوة قد اشترى أجداده أرضاً بنصف ريال ورأس خروف وباعها بعد مئة سنة بستين مليون ريال!!

ويستذكر مرحلة بداياته في التجارة وكيف تغيَّرت أسعار العقارات ليبلغ إيجارها أسعاراً فلكية فيقول: استأجرنا محلنا بمكة في الجودرية بسبعين ريالاً وارتفع إلى أن صار إيجاره مئتي ألف ريال.

وعن ذكرياته يستطرد قائلاً: هناك تجار كثيرون صنعتهم الأراضي، وأعرف أن هناك شخصاً اشترى أرضاً بمئة ريال قبل خمسين عاماً تقريباً وباعها قبل عدة سنوات بعشرين مليون ريال صاف!! وهناك أرض سهمها بـ ٥٨ ألف ريال وخلال سبع سنوات أصبحت قيمة السهم أربعة ملايين ريال.

علاقته بسماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله-(١)

ارتبط السبيعي بعلاقة وثيقة مع كافة رجال الأعمال ويظهر هنا مع عبدالله البراهيم الخريف.

حينما نتكلم عن العلاقة التي جمعت محمد السبيعي وأخيه عبدالله بسماحة الشيخ

(١) المعلومات الواردة في هذه الجزئية تم الحصول عليها من خلال حوار فريق الإعداد مع الشيخ أحمد بن عبدالعزيز بن باز أمين عام مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية.

عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- والمواقف العديدة التي جمعت بينهما فلن نستطيع الإحاطة بجوانب هذه العلاقة، فهي أقوى مما نستطيع وصفها وأمتن من أن تروى في هذه السطور، وهي كانت قائمة على الحب في الله والتعاون على البر والتقوى، ولعلها تنال الدرجة الرفيعة التي بشَّر بها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..» وذكر منهم.. «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه».(١).

بدأت الصداقة بينهما في السنة الأولى التي ذهب فيها سماحة الشيخ ابن باز لأداء فريضة الحج؛ وذلك في منتصف الخمسينيات الهجرية، أي في حدود عام ١٣٥٦هـ، وفي رحاب مكة المكرمة التقيا وتوطَّدت علاقتهما فيما بعد، فقد كان سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- يذهب سنوياً إلى مكة المكرمة سواء لأداء الفريضة أو للتعبد في شهر رمضان المبارك، وإلقاء الدروس والمحاضرات، وهو ما

(١)رواه البخاري ومسلم.

أتاح لهما الالتقاء؛ لأن السبيعي كان حينها في بدايات عمله التجاري بمكة وفي دكان يقع بجانب الحرم المكي، وهذا لا يعني أن العلاقة بينهما كانت تجارية في بدايتها، بل كانت علاقة مكانية لطبيعة وجود محل السبيعي بجانب الحرم.

وقد شاء الله لهذه العلاقة أن تزداد رسوخاً وتشعباً بعد ذلك عبر العمل الخيري لكليهما، واشتركا في صدق المعاملة وحب البذل والعطاء دون حدود، فقد كانت ثقة السبيعي في أهل العلم والعلماء عظيمة؛ لذا توجه إليهم لمساعدته في الكيفية التي يستطيع من خلالها بذل الخير في الطريق الصحيح والسليم الذي يضمن الوصول إلى الفئات المحتاجة للمساعدة، ووجد السبيعي ضالته في شخصية سماحة الشيخ ابن باز لصلته بهؤلاء الناس، فكان يستشيره في الكيفية التي يصرِّف بها أعماله الخيرية الواسعة، واشتركا في تأدية تلك الأعمال بصبر واحتساب، وكان لدى الشيخ ابن باز عدة حسابات لدى شركة السبيعي المصرفية منها: حساب للصدقات العامة، وحساب للزكوات، وللمساجد، وحساب للدعاة، إضافة إلى حسابات العمل الخيري الأخرى، بل إن سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- كان يشجِّع معارفه بفتح حسابات لدى مؤسسة السبيعي المصرفية بسبب أمانة السبيعي وحبه للخير وكون تعاملاته البنكية تتخذ بعداً إسلامياً من حيث الصرافة والعمل البنكي.

وقد اكتسب الشيخان -على امتداد علاقتهما الطويلة- ثقة كبيرة فيما بينهما ولا سيما في التعاملات المالية التي تبيِّن معدن الرجال ومدى صدقهم وأمانتهم، ومن ذلك أن سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- كان يصدر الشيكات بشكل مستمر، إما أن تكون شيكات شخصية

أو شيكات خاصة بالأعمال الخيرية وذلك لصرفها من شركة السبيعي للصرافة، وكان الشيك يصرف بأمر من السبيعي -حفظه الله- مهما كان حساب سماحة الشيخ ابن باز ضئيلاً، فقد كان لا يرد أي شيك صادر من قبل سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- حتى ولو لم يكن هناك رصيد لسماحته بالشركة، وقد كان الشيخان يقومان بالتسوية المالية بعد ذلك بود وإخاء وتراض.

وقد استمرت هذه العلاقة حتى بعد وفاة سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله-، ولا يزال السبيعي يحرص على علاقته بأبناء سماحة الشيخ ويسأل عنهم من مبدأ حرصه على تلك العلاقة الجيدة التي جمعته بالشيخ. وفي الجانب الخيري لا يزال التنسيق مستمراً بين مؤسسة السبيعي الخيرية ومؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية للقيام بالعمل الخيري في أوجهه كافة خير قيام.

بقي أن نشير إلى أن هناك أشياء عديدة أسهمت في إنجاح علاقة الشيخين الأخوية؛ فقد كانا متقاربين في السن ويتشابهان في كثير من الطباع والسمات الشخصية، كالعصامية والاعتماد على الذات، إضافة إلى البعد الإيماني الذي نهلا من معينه الود والإخلاص والتفاني.

مع الملك فيصل:

وعن ذكرياته حين كان الملك فيصل -رحمه الله- أميراً على الحجاز يقول:

عندما كنت أعمل في دكاني بمكة لبيع الملابس كان سعد السميري يعمل في إمارة مكة المكرمة، وكان يبعث لي برسالة مع

obeikandl.com

عبدالرحمن بن عون وهو من أمراء البدو وعندهم الإبل الخاصة بالأمير فيصل بن عبدالعزيز أمير الحجاز، فيطلب كسوة للبدو، فإذا كتب في رسالته بدلة كاملة فهمت أنها «صاية» شغل الشام وشماغ البسام وطاقية وثوب بفت وفنيلة وسروال، وهذا كله قيمته ٦,٥ ريالات، أما إذا كتب في الرسالة «بدلة» فقط فهمت أنها ثوب بفت وغترة ململ وفنيلة وسروال وطاقية، وهذا ثمنه ٤,٥ ريالات، فكان المكسب بالقرش والقرشين ولكن فيه لذة وبركة من الرزاق -سبحانه-.

الإهمال.. أبو الحسرات:

ومن القصص التي تعرض فيها هو وأحد أصدقائه لعملية نصب كبيرة بسبب التساهل في المحافظة على الحقوق وعدم التحري يقول:

كان لنا صديق اسمه محيسن العنقري من مكة المكرمة وعنده مراسل من جنسية عربية، وعندما انتقل محيسن إلى الرياض قال: هذا ولد كفء وصاحب عمل جيد، وصار هذا الشخص يحضر لنا شنطاً بها دولارات تتجاوز المليون ريال ويقول: هذه للأمراء وقد أحضروها من الخارج، وكان محيسن وكيلاً للأمراء وأرحامهم، وكان أولادنا حديثي عهد بالعمل. ثم يضيف: إن المراسل كان يقول لنا: أنتم أصدقاء للعم محيسن وأنتم شخصيات معروفة، فكان يبيع الدولار بنقص قرش، وعندما تحرينا عنه وجدناه يأخذ الدولارات من البنك الأهلي لحسابه الشخصي وجمع بهذه الطريقة مبالغ طائلة، وقد سافر وفي ذمته لنا عشرات الملايين.

وهذه خسارة مؤلمة ولكنها درس؛ لأن الإنسان يجب ألا يخجل من السؤال والتقصي دون مجاملة، ولو كان من أقرب أقربائه، وصاحب

obeikandl.com

المثل يقول: «سوء الظن من الحزم»، ولله الحمد فقد عوّضنا الله بفضله أضعاف ما ضاع وهذا للتذكير فقط، ورحم الله الملك عبدالعزيز آل سعود الذي كان يردد دائماً: «الحزم أبو الظفرات والإهمال أبو الحسرات».

obeikandl.com